الباحثين همة ومهارة ، أمـا مـا وجـده الاسـكندر الكبير في الهند وشاهده هناك فسوف أحكيه فيما بعد ، أو على الأقل سأروي بعضا منه.

لقد شارف هذا العام الآن على الانتهـاء فليمض الرب في حـكمه على سنة هذا الزمن ، ويندمج الآن هذا العام في العام المقبل.

حملة ملك القدس على ملك دمشق:

في عام ١١٢٦ لتجسيد مولانا ، وخـلال الخمس عشرية الثـالثة بعد الاحتفال بعيد الميلاد في القدس ، حشد الملك جيشه بهدف شـن هجوم على ملك دمشق ، وبعدما أعلن المستنفزون التعبئة ، تحركت الطاقة البشرية في مملكة القـدس ، تحـركت بـرمتها فـرسانا ومشاة ، وزحـف رجـال يافـا والرملة وكذلك اللد عبـر نابلس ، وساروا على طريق بيسان بينما سار رجـال عكا وصـور على الطريق الشمالية.

وتحت قيادة الملك عادروا بلدة صفورية ، وكان جبل طـابور على يمينهم ، ووصلوا الى طبـرية ، وهناك انضـم اليهـم رجـال القدس ، ثم عبروا جميعـا نهـر الأردن ، واسـتراحوا بـأمان في معسكرهم.

شعر:

عم الهدوء والسكون في تلك الليلة الصافية.
وأضاءت الأهلة القمر السادس عشر

وعند بزوغ الفجر زعقت الأبواق اشارة الرحيل ، ليغادر الرجال معسكرهم ، فكان أن قوضوا خيامهم واستعدوا جميعا لاستئناف المسير ، ووضعوا أثقالهم وأمتعتهم على ظهور بغالهم وجمالهم وبقية دواب التحميل ، مما أثار كثيرا من الجلبة ، وتعالت الأصوات ونهقت الحمير وصهلت الخيول وارتفع رغاء الجمال ، ثم بدأ الكشافة في استطلاع الممرات للمشاة ، وعندما زعقت البوقات ، اختار الرجال بكل عناية أفضل الطرق لزحفهم.

وبعدما توغلوا في بلاد الأعداء ، وافقوا بعقل على الزحف بأعلام منكسة ، ولبسوا دروعهم خشية أن يباغتهم خطر ليس بالحسبان ، ثم اجتازوا شعاب وادي الراحوب ودخلوا الى منطقة دمشق وقضوا ليلتين خلف الوادي ، وينبع من هنا جدول يجري نحو بيسان من خلال بحر الجليل ثم يصب بالأردن ، وبعد هدا دمروا حصنا عبروه في طريقهم ، وهكذا وصلوا الى موقع حصين اسمه سالومي ، فخرج السريان والنصارى الذين قطنوا هناك في موكب لاستقبال الملك.

وأقبلوا بعد ذلك على واد اسمه « مرج الصفر » وذلك هو المكان الذي ضرب الرب فيه الرسول بولس ، و فقد بصره لمدة ثلاثة أيام (أعمال الرسل : ٩ / ٣ ـ ٩) وهناك توقفوا لمدة يومين ، ومن هناك شاهدوا خيام أهل دمشق الذين يتربصون هناك بانتظار جيشنا.

وعاد (بوري) ابن الملك طغتكن بعد أن كان غائبا ، حيث جمع بهمة ونشاط قوة مكونة من ثلاثة آلاف فارس ، حشدها من جميع الجهات ، والتحق بوالده استعدادا للمعركة ، وكان وصوله في اليوم الذي تقدم على المعركة.

وفي الحال تم ترتيب فرساننا ورجالتنا في اثني عشر كردوسا وهي طريقة تمكنهم من أن يدعم واحدهم الآخر عند اقتضاء الضرورة ، وبعدما شارك الجميع في القداس وتناولوا خبز الشركة المقدس ، ضموا صفوفهم على خط القتال ، ثم شرعوا في القتال وهم ينادون « الرب يعيننا » .

وهلل الأتراك أيضا وقاتلوا بشجاعة وعنف ، ودهشوا للبسالة التي أبداها هؤلاء الذين استخفوا بهم وكأنهم كانوا قد قهروهم فعلا ، فتخلت عنهم شجاعتهم ، وعزموا على الفرار بعدما خارت عزائمهم ، فانهزم طغتكين وكذلك فعل ابنه ، واشتد الحال وزاد الضغط على رجالنا وبات عليهم أن يحتملوا فوق القدرة على الاحتمال ، ومع هذا ارتفعت شجاعتهم وازدادت أكثر فأكثر ، وهكذا ظلوا ثابتين صامدين في عزيمتهم.

على أن وابلا من سهام الأتراك انهمرت على المسيحيين فما سلم جزء من أجسادهم من كدم أو كلم ، والحق يقال لم يشهد رجالنا قط معركة أشد عنفا أو أعظم هولا ، لهذا كانوا يتراكضون محتدين ، وقد تعالى صخب المعركة حولهم وحمي وطيسها ، وتعالت زعقات الأبواق وأصوات النفر .

وفي ذلك الوقت طوق الأتراك رجالنا ، وأصابوا عددا كبيرا منهم بجراح ، فلانوا بالفرار لكنهم بعدما جربوا ذلك لمسافة أربعة أميال عطفوا رؤوس خيولهم ورجعوا على الأتراك كما وجب عليهم ولزم ، وباشروا القتال وقد ارتفعت حماستهم واشتد اقبالهم على الحرب .

شعر:

وافق يوم المعركة المقدس هذا يوم الذكرى السنوية
لاعتناق بولس دينه ، بولس الذي اصطفاه الرب.

وذشب قتال هذه المعركة في الساعة الثالثة من النهار ، ووضعت العتمة حدا له بنصر منحنا اياه الرب.

المعركة محفوفة بالمخاطر ، والفرار عار وخزي فاضح ، ولكن قد يكون من الأنسب أن يعيش المرء مستضعفا على أن يموت ويندب موته الى الأبد ، لهذا آثر الأتراك الفرار لكي يحافظوا على حياتهم ، وفي الحقيقة لاقى أكثر من ألفي فارس تركي حتفهم على أرض المعركة فضلا عن الرجالة الذين لم يرد ذكرهم ، وفقدنا نحن أربعة عشر فارسا وثمانين من الرجالة.

وكان تصرف مليكنا في ذلك اليوم رائعا ، ومثله كان تصرف فرسانه ورجال معسكره جميعا ، حيث أن الرب القدير كان معهم بذاته ، وفر ملك سورية وكل من تمكن من اللحاق به ، وعاد مليكنا الى القدس وقد امتلأ نشوة بظفره.

وبعد صدور الأوامر بالعودة حاصر رجالنا حصنا كان فيه ستة وتسعون رجلا ، فاستولوا عليه وقتلوهم كما استولى الملك على حصن آخر كان فيه عشرين تركيا ، قد التجأوا اليه ، وعندما تيقن هؤلاء أن رجالنا بدأوا بالحفر حول الحصن وبنزع الحجارة الكبيرة من السور استسلموا وتخلوا عن حصنهم المنيع الى الملك لشدة خوفهم ، وأذن لهم الملك بالمغادرة حسب اتفاق التسليم ، ثم هدم الحصن ، واملت تدميره ضرورات المصلحة ، ذلك أن حصانته كانت ستغوي الكثيرين بالتمرد ، إذ كان من الممكن أن يصلح ملجأ أمينا لمن يملكه ، فيصمد فيه فيكون مصدرا للريبة والقلق لمن يهاجمه.

علني أسبب الضجر للسامعين لروايتي لو أنني حكيت كل التفاصيل التي حدثت في الحرب أو نتجت عنها ، سواء بالعنف أو بالحيلة ، فقد أحضر أهالي دمشق معهم شبانا انتقوهم لرشاقتهم في الحركة ، وكانوا مسلحين ، وقد امتطوا الخيول وراء الفرسان الأتراك ، وفور مقابلة الأعداء ترجلوا بسرعة وقاتلوا كمشاة ، بينما تابع الفرسان الذين أحضروهم القتال في الجانب الآخر.

حصار مدينة رفنية ونهر سبتكس:

كتب الأوائل « ليس هناك شيء مبارك من كل ناحية » وهكذا ليس من الممكن أن تكون البركة الكاملة قد حصلت في هذه المعركة ، إذ أننا فقدنا أربعة عشر من خيرة فرساننا وذلك بالاضافة الى بعض الرجالة الشجعان ، لكن ذلك لا يذكر أمام المذبحة التي حلت بين صفوف الأعداء .

وتفسر كلمة دمشق بأنها « شرب الدم » أو « تقبيل الدم » ، فقد قرأنا أنه في دمشق جرى سفك دم هابيل ، وبالفعل إن أهل دمشق قادرين على الاغتسال بدم القتلى ، بل أكثر من هذا قادرين على أن يشربوا من دم انفسهم بأن يطرحوا انفسهم متمددين ووجوههم منبطحة على الأرض.

وأخيرا عاد الملك مع جيشه الى القدس حيث أمضى الجميع ذلك اليوم في اجازة ، وفي تقديم صلوات الشكر ، وبعد أمد وجيز استجاب الملك لتوسلات كونت طرابلس ، وزحف لاعانته في حصار بلدة تدعى رفنية تقع على سفح جبل لبنان ، وحسبما ذكر يوسفيوس في هذه المنطقة « ما بين أرشاص ورفنية يجري نهر له صفة فريدة عجيبة ، ذلك أنه سريع التيار عندما تتدفق مياهه ، غير

أن ينابيعه تنضب بعد ستة أيام حتى يبدو موقعه وكأنه قد جف وفي اليوم السابع وبدون أي سبب ظاهر يرتفع ماء النهر ثانية ، ولقد وجد أنه يعيد تكرار هذه العملية على الدوام وحسب الوتيرة نفسها ، ولذلك دعي هذا النهر بالنهر السبتي ـ سبتكس ـ نسبة الى السبت ، وهو اليوم السابع من الاسبوع ، وهو أيضا اليوم الذي يقدسه اليهود.

وبالفعل قضى الأمير طيطس بعض الوقت حول بيروت ، ثم غادرها وهو يثني على هذا المشهد الذي فاق بروعته كل ماشاهده في المدن السورية التي زارها ، وقد ازداد اعجابه بهذا النهر (فوار الدير) ورأى ظاهرة جديرة بالتقدير العفوي.

شأن نهر آخر

ويحكي المؤرخ نفسه خبر أعجوبه أخرى ، فيقول إنه على مقربة من مدينة عكا كان هنالك جدول (نهر النعامين) ضئيل المياه كثيرا ، يبعد حوالي ربع ميل عن المدينة ويدعي « بيلوس » وهو قرب كنيسة ممنون ، وهو بالفعل جدير بكل اعجاب ، لأنه على شكل واد مستدير ، وهو ينتج رملا زجاجيا ، وبعد أن تأتي المراكب اليه وتنقل الرمل منه يعود الموقع فيمتلىء بالرمل ، وتحمل الرياح بطبيعتها رمالا أخرى من التلال المحيطة بالوادي ، والذي يثير عجبي فوق هذا كله ، انه كلما طرح جزء من ذلك الرمل الزجاجي الى حافة المكان عاد ثانية ليصبح رملا عاديا.

الاستيلاء على مدينة رفنية :

سقطت رفنية التي تقدمت مني الاشارة اليها باقتضاب على

النحو التالي: بعدما حاصر الملك والكونت المسلمين داخلها لمدة ثمانية عشر يوما ، وبعد قذفها بشدة بحجارة المجانيق استسلم سكان المدينة وغادرها دون أن يمسسهم أذى ، ووقع ذلك في أخر أيام آذار ، وهكذا تسلم كونت طرابلس المدينة وبات سيدها منذ ذلك الحين وقد اعاد تحصينها ، لكن ملك القدس رجع الى القدس.

وفاة الأمبراطور الروماني:

فيما كنا نحتفل بعيد الفصح (١١ ـ نيسان ١١٢٦) في القدس نقل إلينا الحجاج أخبارا أفادت بوفاة الأمبراطور الروماني(هنري الخامس ـ ت ٠ ٢٣ / ٥ / ١١٢٥) واضافت أن دوق سكسوني المدعو لوثير قد ارتقى عرش الأمبراطورية .

شعر

عندما توفي هنري انار برج العذراء
وإثر ذلك حكم لوثير ابن الدوق وغدا ملكا .

حملة الملك على المصريين:

شرع الملك بعد فترة وجيزة في إعداد حملة من مدينة صور ، وهبط نحو سورية السفلى (الشمالية) بعد أن خلف وراءه قسما من فرسانه واصطحب معه القسم الآخر ، وقد فعل ذلك على الرغم من سماعه بأقاويل حكت عن استعدادات للمصريين للحرب ، وبوشوك زحفهم ضدنا .

فلقد عزم على المبادرة إلى الموقع الذي سمع أن العدو سوف يهاجمه ، فالملك بلدوين كان مثله مثل الخنزير الكاسر ، وقد أحاطت به الكلاب من كل جانب تنهشه بعضاتها المتوالية ، فاضطر أن يدافع عن نفسه ويضرب يمينا ويسارا ، وينقض عليهم مكشرا عن أنيابه بكل شراسة ، وحسبما اعتدنا القول : « تمتد اليد إلى حيث يوجد الألم »

وكان الأتراك قبل وصول الملك إلى هناك قد احتلوا موقعا يشبه القلعة ، ولما كان ذلك الموقع مصدر ازعاج للأتراك فقد توجب علينا استرداده ، وكان جنودنا قد تسللوا منه بمهارة فائقة خلال الليل ناشدين النجاة ، وقد خلفوا وراءهم فيه أزواجهم وأولادهم ، ذلك انهم اثروا إنقاذ بعضهم على فقدان الجميع .

وفي منتصف تموز من ذلك الصيف بدأ مذنب بالظهور مابين الشرق والشمال ، وقد ظهر قبيل الفجر وظل شعاعه يسطع حتى حوالي الساعة التاسعة ، ثم بدأ مثل ضوء خافت ، وبذلنا جهدنا لمدة ثمانية عشر يوما حتى ندرك مغزاه ، فلم نستطع فسلمنا ذلك إلى خالقنا أجمعين .

وحاصر الأتراك في تلك الآونة بلدة الأثارب ، وكان البرسقي ابرز قادتهم ، وما أن سمعوا بمقدم ملكنا الذي كان يتعقب خطاهم ، حتى انسحبوا إلى مواقع دفاعية أكثر أمانا ، وقد أحبطت مخططاتهم لأنه لم يكن لديهم ما يزيد على ستة الاف جندي ، ولهذا عاد الملك إلى انطاكية .

الأسطول المصري :

بعدما جدد المصريون في هذا العام أسطولهم وحشودهم ابحروا

تدفعهم ريح جنوبية ودخلوا إلى بلاد الفلسطينيين ، ومروا أولا بالفرما فالعريش فغزة ثم عسقلان ، وكذلك يافا وقيسارية وعكا وصور ، فاستطلعوا المنطقة وتفحصوا الشاطىء خلسة حتى حدود مدينة بيروت ، وتصيدوا وفتشوا من مرفأ إلى مرفأ ليروا فيما إذا كان بإمكانهم العثور على مايعود عليهم بالمنفعة وعلى المسيحيين بالضرر ، ولما كانوا انذاك قد أخذوا يعانون كثيرا من شح المياه العذبة ، فقد اضطروا إلى النزول على اليابسة لكي يملأوا أوعيتهم من الجداول والينابيع وحتى يطفئوا ظمأهم .

واستاء سكان المدينة المذكورة من ذلك ، وخرجوا على الفور بكل جسارة وقاموا بدون تردد بشن هجوم عليهم ، وكان قد انضم إليهم بعض المسافرين الذين صدف وجودهم هناك ، وسقط من اولئك القراصنة مائة وثلاثين قتلى او أنهم أصيبوا بجراح قاتلة ، وفي الحقيقة نزل خمسة آلاف من الأعداء إلى اليابسة ، وغادروا سفنهم ليقاتلوا رجالنا ، علما بأنه بقي في السفن من تولى العناية بها وحراستها ، وكان عدد السفن اثنتين وعشرين سفينة ثلاثية المجاذيف ، وثلاث وخمسين سفينة من انواع اخرى .

وكان أعداؤنا قساة القلوب غلاظا ، لم يكن في قلوبهم شفقة على من استطاعوا ان يخضعوا لسيطرتهم ، يجدون متعة بممارسة وحشيتهم على بني جلدتنا .

ونحن نحمد الرب لأنهم لم يحققوا فائدة ترجى في هذه المرة ؛ حيث تمكن فرساننا برماحهم وقسيهم ونبالهم من صدهم ثم قذفوهم إلى البحر ، وانزلوا بهم هزيمة نكراء لم تكن عندهم بالحسبان ، فنشروا أشرعتهم بدون تباطؤ ، وانحرفوا متجهين نحو طرابلس ، ثم قبرص .

رحلة بوهيموند الأصغر :

وكان الحجاج والمراسلون قد نقلوا إلينا في ذلك العام مرارا وتكرارا تقارير أعلنت عن حضور بوهيموند الأصغر ، غير أن مانقلوه قد خدعنا وكان مجرد شائعات ، لأن بوهيموند خاف من الأسطول المصري ، أو الأصح أسطول القراصنة الذي علم انه قد انتشر في البحر ، وفي الوقت نفسه كان بوهيموند شديد القلق على بلاده نفسها ، فقد خشي أنه إذا لم يحكم حفظها بين اتباعه فقد يفقدها بالمراوغة والاحتيال ، وبمختلف أساليب المكر والخداع ، وفعلا ورد في أمثال الفلاحين . « من لديه جار سيء فصباحه سيء » .

وبعدما أعد بوهيموند لرحلته مرارا تمكن اخيرا ان يجمع في اوترانتو - إحدى مدن ابوليا - اكبر عدد استطاعه من السفن لقد جمع إثنتين وعشرين سفينة ، كانت عشر منها من النوع الطويل المزود بالمجاذيف ، وسارع بالتحضير لرحلته ، وفعل ذلك بعدما أودع بلاده وتركها لدوق ابوليا ، بعدما انتقاه وعينه وريثا له فيما لو تقدم عليه بالوفاة ، ومنحه الدوق بدوره الحق ذاته وثبته له عن طيب خاطر ، فيما لو كان الدوق أول من سيفارق الحياة بينهما ، وتم إبرام ذلك بحضور وجهاء القوم من الجهتين وشهادتهم .

وهكذا ابحر بوهيموند في اواسط ايلول ، فمر بشيكلادس الموزعة حول سطح البحر ، فأتى إلى ميثون فرودس وبامفليا وليسيا ، ووصل في عباب الأمواج إلى أذريا التي تملأ بالرعب قلب كل من يبحر إليها ، ثم مر بانطاكية الصغرى فانطاكية الكبرى فاسوريا ، ثم مدينة سلوقية ، وكانت وقتها قبرص عن يمينه ، ثم بطرطوس فمدينة بلنياس التي باتت خرابا ، فكانت عن يمينه .

ونشر في تلك الفترة كثير من الناس الجشعين المتقلبين ، الذين وصلوا مؤخرا من وراء البحار ، حكاية روجوا لها بيننا في القدس افادت ان بوهيموند قد نزل إلى اليابسة فعلا في انطاكية ، بيد انهم تاهوا فيما قالوه ، مع انه خيل إليهم انهم قالوا الحقيقة ، وسبب ذلك انهم سافروا مع بعض رجاله حتى وصلوا إلى بارتا برفقة الصقور والبزاة وصيادي الطيور والكلاب التي بعث بها مقدما .

المخاطر التي تعرض في البحر :

كثير هي المصاعب والمخاطر التي تواجه من يركب البحر ـ إذا ماشاء الرب بها وسمح ـ فقد تنقطع المرساة وتنفصل ، وقد يتحطم عمود الشراع ، أو مؤخرة السفينة المعكوفة المزخرفة ، أو قد تنفصم السلسلة المعدنية .

وعندما تغير الريح اتجاهها ، يراقب البحارة مؤشر دليل اتجاه الريح ليتأكدوا من أن السفينة تسير بالاتجاه الصحيح ، وهناك دوما خطر من أن تفقد مجراها في الليل ، وعندما تختفي النجوم وراء السحب ، أو عندما تجري فوق الصخور ، فهناك خطر محدق بحدوث الغرق والهلاك (أعمال الرسل : ٢٧ / ٢٠ ، ٢٩ ـ ٣٠) وكما في البر كذلك توجد المخاطر في البحر .

ولماذا نستغرب ما يجري لنا ، إذا ما تذكرنا حطام سفينة القديس بولس ؟ فقد القى ملاحوه الفادن كي يقيسوا به عمق البحر ، ولو لم يشاهد ملاك الرب في محنته لانقطع رجاؤه بالنجاة (أعمال الرسل ٢٧ / ٢٣ ـ ٢٨) .

البحر العظيم :

اعتاد عدد كبير على مصادفة المخاطر في خليج أدريا ، فقد تهب الرياح شديدة من جميع الاتجاهات ، وتهبط من الجبال نحو الوديان ، ثم تنحرف بين الشعاب المنخفضة وتتجمع في إعصار في الخليج ، وإذا قابل البحارة في بعض الأحيان سفينة قراصنة ، فقد تسلب اموالهم ويحل بهم الدمار بدون شفقة ، اما الذين يعانون من ذلك كله محبة بالرب ، فهل تخيب آمالهم قط في ثوابه ؟ .

ودعنا نذكر بضع كلمات عن البحر : علينا الا نغفل عن ذكر مصدر البحر المتوسط ، فبعضهم يعتقد أنه ينشأ من مضائق قادس ، وليس له مصدر غير مصب البحر المحيط الهائل ، أما الذين يعتقدون عكس ذلك فيذكرون أن تدفقه كله يأتي من مضائق بنطش ، ويدعمون ذلك بحجة راسخة أن المد من بنطش لايرتد رجوعا ابدا .

وعلى هذا لنرفع آيات الحمد والشكر إلى خالق الأكوان الذي « ثبت حدود البحر ووضع له تخوما ومداخل ، إذ قال له : إلى هنا تأتي ولاتتجاوز ، وهنا تتخم كبرياء لججك » ، وحين يندفع البحر هائجا مائجا باتجاه الشاطىء يتكسر إلى زبد ترده أدنى العقبات عن الشاطىء .

ثم ما الذي يمنع البحر الأحمر ـ اللهم إلا إذا نهت إرادة السماء عن ذلك ـ من أن ينضم إلى البحر المصري في سهول مصر ، حيث انه يقع في منطقة أكثر انخفاضا من الوديان ، المنبسطة التي تتصل به ؟ وأخيرا ورد في الكتب أن إثنين من الملوك رغبا في وصل هذين البحرين حتى يصب أحدهما بالآخر ، وكان أولهما سيسوتريس المصري ، وثانيهما دارا الفارسي ، وقد أراد هذا الأخير ـ نظرا لأنه تفوق على الملك المصري سلطة ومقدرة ـ أن ينجز ما سعى إليه ذاك .

ويدل هذا على أن المحيط الهندي ، الذي يقع فيه البحر الأحمر هو أعلى ارتفاعا من البحر المصري ، الذي يقع على مستوى أشد منه انخفاضا وليس على المستوى ذاته ، ولعل كل واحد من الملكين قد تخلى عن المشروع لكي يمنع البحر من أن يجري من مستوى مرتفع إلى مستوى منخفض ، فيفيض بذلك ويغمر البلاد ، وقد ورد هذا في مذكرات امبروز ، في حين يذكر سولينوس غير ذلك .

كم هي عجيبة اذن أعمال الرب ، غير أن أعجب منها من خلقها ودبرها ، وإذا مابدا بعضها قبيحا في أعيننا فعلينا أن نثني عليها على الرغم من ذلك ، لأن خالق الكون قد أبدعها . لقد زودنا الرب بالدواء في حشرة البق (المنزلي) فتقدم هذه الحيوانات الدواء أحيانا ، وتسبب الأمراض في أحيان أخرى او قد تحدث الوفاة ، فهي تعطي الشفاء حينا والضرر حينا أخر ، ويحكى انه إذا ما أعد ترياق مضاد لسموم لدغة الثعبان من لحم الثعبان وحده فهو ضار ، لكنه ناجح ومأمون إن مزج بمواد أخرى .

أصناف الثعابين :

اما الباسيليق فطوله نصف قدم ، وهو أبيض مثل تاج الأسقف وله رأس مخطط ، وهو لايكتفي بتدمير الانسان والحيوان فقط بل يتعدى ذلك إلى الأرض نفسها فهو يلفحها بالسموم ، وحيثما يكون يخلف وراءه مكمنا قاتلا تذوي فيه الأعشاب والأشجار وتموت ، وهو يلوث الجو ذاته ، فلا يستطيع طائر أن يطير فيه بأمان لأنه يفسده بنفسه الموبوء .

وعندما يزحف الباسيليق يتحرك نصف جسده وينتصب النصف الباقي قائما ، حتى الثعابين ترتعد لسماع فحيحه فتمعن في الفرار

شاردة لاتلوى على شيء ، والذي يقتله البـاسيليق بلدغة منه لا يأكله حيوان بري ولايقربه طير ، لكن ابن عرس يتغلب عليه ، لذلك يضعه الناس في جحره .

وصحيح أن أهل بيرغمون قد وضعوا في المعبـد الذي جملتـه يدا ايلييس رفات باسيليق سددوا سيسترتيوم (عملة رومانية) كاملة ثمنا له بغية طرد العنكبوت حتى لايغطي المعبد بنسيجه ولئلا تقـطنه الطيور .

أما المثنية فلها راسان إثنان ، يقع ثـانيهما في الذيل ، وللمقـرنة اربعة قرون قصيرة وهي تطمر جسدها بعناية في الرمل ، ثـم تبـرز قرونها حتى تبدو وكأنها غذاء وبذلك تتخفى فتقتل الطيور ، وتمتص الحمراوية الدماء بعد اللسع ، وهي تمتص الحياة من مجرى الدم في العروق ، وتصيب البرستا من تلدغه بتورم عظيم فيمـوت ، ويحـل التعفن عادة بعد التورم ، وهناك افاعي اخـرى كثيرة لهـا اسـماء مختلفة ، ومهما تباينت اسماؤها فكل منهـا يسـبب الموت بـطريقة مميزة .

أما العقرب والسنقور والسلحفاة فهي جميعا من صنوف الديدان لا الثعابين ، وإذا ما زحفت هذه المخلوقات القذرة فخـطرها اقـل ، وليس لديها اي مشاعر إلا إذا هامت تبحث عن وليفها .

ويسطع ظهـر السـقلطة بضروب الالوان ، ويأسر جمـالها مـن يبصرها ، أما العطشاوية فتسبب العطش القاتل بلدغتهـا ، وتقتـل النوامه بتسبيب النوم ذلك أن النوم يؤدي إلى الوفاة مثلما حصل مع كليوبترا ، ولن نأتي على ذكر أنواع الثعابين الأخـرى لأن لدغتهـا قابلة للعلاج .

ولاتقل هذه الأعاجيب ادهاشا عما شـاهده الاسـكندر الكبير في

الهند ، فقد قال لمعلمه ارسطو ولوالدته اوليمبيا : « ماكنت لأصدق بوجود كل هذه الأنواع من الأعاجيب لو لم اشاهدها بنفسي » والحق يقال كان هذا الملك رجلا رائعا بكل ماتعنيه هذه الكلمة : كان رجلا عاقلا مدبرا في كل اموره نشيطا في همته وقويا في سلطانه ، ولم يكن كالريشة الطائرة ولا كالقش العائم .

وصول بوهيموند الأصغر ابن الدوق بوهيموند واستقباله في انطاكية :

وكان بوهيموند قد تأخر في إقلاعه في ذلك العام عما كان متوقعا حتى خيل للناس انه لن يحضر حسبما أعلن وراج بينهم ، ولكن كما ورد في قول النبي ارميا : « ليس للمرء طريقه ، وليس لانسان يمشي أن يهدي خطواته ، ولكن الهدى يأتي من الرب » (ارميا : ١٠ / ٢٣) فلقد خدعتنا أوهامنا وخابت آمالنا ، والأمور لاتجري وفقا لأطماع البشر بل حسبما يقضي به الرب جزاء عادلا لهم .

وقد انتعشت قلوبنا عندما أخبرنا ملكنا في رسائله إلينا في القدس عن وصول بوهيموند إلى انطاكية .

واستقبل الجميع بوهيموند عند قدومه إلى انطاكية بسرور عظيم ، وسار الملك في موكب حافل واستقبله بحرارة وسط هتافات الناس المتوالية ، وعلى الفور عقد الملك و بوهيموند اجتماعا ، وإثر ذلك أعطى الملك الأمير بوهيموند بلاده بأسرها ومنحه إحدى بناته زوجة له .

شعر :

انظر ترى الختن وترى الصهر : الوالد والابن
فليوقر أحدهما الآخر ليزيد بذلك كلاهما منعة .

وبعدما تمت رسوم الزفاف عقد القران بالطريقة القانونية ، وجرى تنصيب بوهيموند أميرا وهو جالس على عرشه ، وخلع عليه رداء الامارة الجميل ، وبعد ذلك اجتمع النبلاء فأقسموا له يمين الولاء الذي حق عليهم لكونهم رجاله ، وعاهدوه على طاعته والقيام بخدمته اعتبارا من ذلك اليوم ، وانجز هذا كله بحضور الملك وبرضاه .

وعاد الملك إلى القدس بعدما تمت هذه الأمور .

شعر :

سطع برج السرطان بين نجوم السماء
وقت استقبال بوهيموند أميرا لأنطاكية

وقد انحسر الآن مدار هذا العام ، واستعد لبداية عام جديد .

وباء الجرذان :

في عام الف ومائة وسبعة وعشرين لتجسيد الرب ، وفي الخمسعشرية الخامسة ظهرت حشود من الجرذان في بلاد فلسطين بأعداد هائلة ، حتى أن بعضا منها قبض على مؤخرة ثور وخنقه ، والتهمته والتهمت معه خمسة اكباش مخصية ، وبعدما نشرت هذا الدمار في أعماق ديار عكا اتجهت أخيرا نحو جبال صور بحثا عن

المياه ، ومن هناك طرحتهم إلى الوديان بالآلاف التي لاتعد ولاتحصى ريح عاتية ، وعاصفة ضـارية وبيلة ، وبقيت تلك المنطقـة مـوبوءة بجثثهم المهترئة .

انتهى هنا تاريخ الحملة الى القدس الذي كتبـه فـولتشر أوف تشارترز .

الحواشي والهوامش

يوميات صاحب اعمال الفرنجة

١ ـ الكتاب المقدس ـ العهد الجديد : ١٦ / ٤٢ .

٢ ـ من المرجح أن المقصود بهذا بلاد فرنسا ، مما يوحي بأن صاحب الكتاب جاء من إيطاليا ، هذا وسبق لنا نشر أجزاء هامة من خطبة أوربان الثاني التي القاها في مجمع كلير مونت سنة ١٠٩٥ م لدى دعوته للحروب الصليبية .

٣ ـ أعمال الرسل : ٩ / ١٦ .

٤ ـ لوقا : ٢١ / ١٥ .

٥ ـ متى : ٥ / ١٢ .

٦ ـ كذا ، ولم يحدث أن سافر شارلمان إلى القسطنطينية ، ولقد قيل بأن اشاعة راجت اثناء الدعوة للحروب الصليبية فيها بأن شارلمان عاد إلى الحياة وسار على رأس حملة صليبية نحو القسطنطينية .

٧ ـ ٢٩ ـ ايلول ١٠٩٦ م .

٨ ـ المعني هنا جميع بلدان السلطنة السلجوقية لاخراسان المعروفة لدى المسلمين .

٩ ـ وصل هذا إلى القسطنطينية قبل بطرس بفترة وجيزة .

١٠ ـ كذا في الأصل ، ومفيد مراجعة هذه المعلومات على ما قدمته انا كومينا ، ذلك أن جوتيه كان ما يزال في القسطنطينية .

١١ ـ يحسن العودة إلى رواية انا كومينا حول أسباب عودته وغاياته .

١٢ ـ هو أدهمردي مونتيل ، أسقف بوي اختاره البابا نائبا عنه في رعاية الحملة الصليبية وقيادتها .

١٣ ـ هو ابن وليم أخي روبرت جسكارد .

١٤ ـ هو ابن وليم الفاتح لانكلترا ، البكر .

١٥ ـ أخو ملك فرنسا فيليب الأول ، راجع ما جاء حوله في رواية انا كومينا .

١٦ ـ رواية انا كومينا حول هذا الموضوع أكثر تفصيلا واقناعا .

١٧ ـ يراجع في هذا الشأن ما أوردته انا كومينا ، مع اعتبار محاولات الامبراطور إجبار غودفري وسواه من قادة الفرنجة على تقديم يمين الولاء له ، ومن ثم العبور إلى البر الآسيوي .

١٨ ـ كان أهل أمالفي في ايطاليا قد تمردوا على الحكم النورمندي ، وكان بوهموند مع غيره من الامراء النورمنديين يقاتل ضدهم عندما وصل المتطوعة من الفرنسيين وسرعان ما أعجب بوهموند بفكرة الحروب الصليبية ، فقرر الالتحاق بالحركة ، وأخذ الطريق نحو العاصمة البيزنطية ، وقد قصت علينا انا كومينا أوفى التفاصيل حول نشاطاته .

١٩ ـ في تارنت وأوترانتو في ايطاليا .

٢٠ ـ يلاحظ اشارة صاحب المذكرات لنفسه وجماعته .

٢١ ـ كذا ، وكان بوهموند عدوا للامبراطور البيزنطي خاض ضده عددا من الحروب قبل قيام الحروب الصليبية .

٢٢ ـ أي شباط لسنة ١٠٩٧ .

٢٣ ـ لعل صاحب الرغبة في الاغارة هو تانكرد .

٢٤ ـ في مقدونية الشرقية .
٢٥ ـ اسمها الآن كيشان ، ووصلوا إليها في أول نيسان سنة ١٠٩٧ م .
٢٦ ـ ١ ـ نيسان ١٠٩٧ م .
٢٧ ـ في رواية آنا كومينا تفاصيل أوفى حول زيارة بوهموند للاسطنطينية .
٢٨ ـ تتعارض هذه المادة مع ما جاء في بقية المصادر ، ولا ندري أمرد ذلك إلى صاحب المذكرات ، أم أنها أقحمت بالنص لصالح بوهموند .
٢٩ ـ ١٤ ـ أيار ١٠٩٧ .
٣٠ ـ يعرف أيضا باسم ستيفن ، وهو زوج أديلا ابنة وليم الفاتح .
٣١ ـ مثل هذا قالته لنا كومينا ، وبناء عليه قدر البعض عدد الفرسان بأكثر من مائة ألف .
٣٢ ـ التفاصيل التي أوردتها لنا كومينا حول حصار نيقية وسقوطها أوفى ويمكن الركون إليها ، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار قيام الخلافات إثر ذلك بين الامبراطور البيزنطي والفرنجة ، وأثر هذا واضح على رواية صاحب المذكرات هذه .
٣٣ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي : ٦ / ١٠ .
٣٤ ـ يرى بعضهم أنها قرب بلدة أسكي شهر ، بينما يذهب رنسمان إلى أن اسم المكان « ساري سو » .
٣٥ ـ هو جسر جكسو عند بلدة ليوك ، فهناك توقف الصليبيون للتشاور .
٣٩ ـ لاشك أنهم كانوا يهتفون بعبارة « الله أكبر » .
٣٧ ـ أي جيش صنجيل .
٣٨ ـ هذا صدى لمقوله ترددت في أيام الحروب الصليبية من أن التركمان والفرنجة من أصل واحد .
٣٩ ـ انظر صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ـ تأليف عثمان التركمان ـ ط . حلب : ١٩٦٠ ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .
٤٠ ـ هي مدينة كومانا ، وكان التركمان بزعامة أسرة الدانشمند قد حاصروها قبل وصول الفرنجة .
٤١ ـ سبق له عمل مرتزقا في الجيش البيزنطي .
٤١ ـ كان ذلك يوم ١٣ تشرين الأول ١٠٩٧ م .
٤٢ ـ يرجح أن هذا كان يوم ٢٠ تشرين أول .
٤٣ ـ أي العاصي .
٤٤ ـ أي يوم ٢١ تشرين أول .
٤٥ ـ ٢٩ كانون أول ١٠٩٧ م .
٤٦ ـ ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة إحدى وتسعين وأربعمائة : « وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأفسيس (أتسز بن أوق) إلى مصر وحصرها ، فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكونوا بينهم وبين المسلمين » . الكامل ٨ / ١٠٨٦ .
٤٧ ـ ٩ شباط ١٠٩٨ .
٤٨ ـ من الجنوية الذين قدموا باسطولهم يوم ١٧ تشرين ثاني ١٠٩٧ . ٤٩ ـ يوم ٦ آذار ١٠٩٨ م .
٥٠ ـ انظر متى : ٢٥ / ٤١ .
٥١ ـ ٧ آذار ١٠٩٨ م .
٥٢ ـ من أنواع العملة لتلك الفترة .
٥٣ ـ هذه واحدة من الشهادات المعبرة عن شره الصليبيين ومدى وحشيتهم وحقدهم .

٥٤ ـ ٨ ـ آذار ١٠٩٨ م .
٥٥ ـ كان ذلك يوم ٥ ـ نيسان ١٠٩٨ م
٥٦ ـ كذا والمرجح أنه أرمني الأصل ، واسمه عند ابن الأثير روزبه وعند ابن العديم في زبدة الحلب ، فيروز ، وعند ابن القلانسي ، نيروز ، ولعله الصواب ، ومفيد هنا التذكير بضرورة مقابلة رواية صاحب اليوميات بما أوردته أنا كومينا .
٥٧ ـ ليلة ٢ ـ ٣ حزيران ١٠٩٨ .
٥٨ ـ غالبا ما يستعمل صاحب اليوميات هذه العبارة ليعنى بها واحدا من نورمان ايطاليا .
٥٩ ـ في المصادر الاسلامية ما يفيد أن يغي سفان سقط عن ظهر جواده ميتا أثناء فراره ، فمر به بعض الأرمن فعرفه فحمل رأسه إلى الفرنجة
٦٠ ـ يريد به السلطان السلجوقي بركياروق بن ملكشاه ـ انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام ٣٣٣ .
٦١ ـ أي يوم ٥ حزيران ١٠٩٨ م
٦٢ ـ لعله كان أحد الأبرجة التي قامت عند مدخل جسر العاصي .
٦٣ ـ أي المعركة التي هزم فيها كربوقا ، وسياتي خبرها مفصلا ، ووقعت في يوم ٢٨ حزيران
٦٤ ـ يوم ٦ حزيران
٦٥ ـ اسمه أحمد بن مروان ـ انظر زبدة الحلب لابن الحلب :٢ / ١٢٩ ـ ١٣٨ .
مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية : ٢٣٦ ـ ٢٤٢ .
٦٦ ـ يشك بصحة هذه الرواية ، وهناك صدى للأساطير الاغريقية عن وجود نهر اسمه الامازون في آسية الصغرى عاش حوله جماعة من النساء اللواتي كن مقاتلات لم يعش بينهن أحد من الرجال
٦٧ ـ كذا ، والرسالة اختراع محض في الاسلوب والأفكار ، وفيها جهل فاضح ، فمن هم هؤلاء الارباب والآلهة وديانة الاسلام ديانة توحيدية ؟! .
٦٨ ـ المزامير : ٦٧ / ٣١ .
٦٩ ـ مزامير : ٧٨ / ٦ .
٧٠ ـ رسالة بولس إلى أهالي رومية : ٨ / ٩ .
٧١ ـ رسالة بولس إلى أهالي رومية ٨ / ١٧
٧٢ ـ التثنية : ١١ / ٢٤ .
٧٣ ـ لاشك أن هذه المحادثة من ابداع خيال صاحب اليوميات ، وهي ذات أهداف دعائية
٧٤ ـ سفر الخروج : ٢٠ / ١١ .
٧٥ ـ الثالث لوصوله إلى أنطاكية أي حزيران ١٠٩٨ م .
٧٦ ـ مزامير : ٧٤ / ٤ .
٧٧ ـ شهر بكثرة رؤاه حتى قيل بأن عددها بلغ خمسا كان أولاها في ٣٠ كانون أول ١٠٩٧ ، وثانيتها يوم ١٠ شباط ١٠٩٨ ، والثالثة يوم ٢٠ آذار ، والرابعة أثناء ذهابه إلى قيرص ، والخامسة يوم ١٠ حزيران ١٠٩٨ .
٧٨ ـ أثناء اشتداد حصار كربوقا لأنطاكية يوم ١٠ حزيران .
٧٩ ـ تبعا لصاحب المذكرات قتل غودفري هذا في معركة دوريليوم وهذا يعني أنه لم يكن في المدينة .
٨٠ ـ يرى البعض أن كاتب هذه اليوميات كان بالأصل كاتبا له ، وقد كانت المودة بين هذا الكونت والامبراطور البيزنطي قوية ، فقد لاحظ الامبراطور حب الكونت للظهور فاهتم بهذه الناحية وأحسن استغلالها .
٨١ ـ دعت بعض المصادر اللاتينية هذا الجبل باسم الجبل الأحمر ، وأنه هو الذي يشرف على سهل أنطاكية الشمالي .
٨٢ ـ كان هذا كله قبل سقوط أنطاكية للصليبيين ، ولعل فراره في طريق العودة باتجاه

القسطنطينية كان يوم ٢ ـ حزيران .

٨٣ ـ اسمها الآن آق شهر ، ويستدل من رواية انا كومينا أن الامبراطور البيزنطي قدم إلى هذه المدينة وهو في طريقه إلى انطاكية لنجدة الفرنجة .

٨٤ ـ غوي بن روبرت جسكارد النورمندي ، كان أخا ليوهمند من أم ثانية ، اشترك مع ابيه سنة ١٠٨٤ في حملته على بيزنطة ثم هجر اباه والتحق بالامبراطور البيزنطي ودخل في خدمته ، هذا وقد تعرضت انا كومينا لمسألة عودة الامبراطور وعدم متابعة زحفه نحو انطاكية .

٨٥ـ تتباين الروايات حول هذه المسألة ، فمن متحدث عن مسمار إلى حربه أو غير ذلك ، وان القضية برمتها خداع واختراع ، وقد يكون هذا ، وهو يدل على براعة متناهية ، ذلك أن العلاج أفاد وقاد الى رفع معنويات الفرنجة مما أعانهم على هزيمة كربوقا ومتابعة الزحف حتى القدس ، وحدث العثور على الحربة يوم ١٤ حزيران .

٨٦ ـ يتعارض هذا مع ما أوردته انا كومينا وسواها .

٨٧ ـ أورد ابن الاثير في الكامل : ٨ / ١٨٦ ـ ١٨٧ . رواية تتوافق مع هذه الرواية حيث تحدث أولا عن مسألة الحربة والعثور عليها وما أعقب ذلك من صيام واحتفالات ثم قال: « فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين بين خمسة وستة ونحو ذلك ، فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي أن نقف على الباب فنقتل كل من يخرج ، فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل ، فقال: لاتفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ، ولم يمكن من معاجلتهم ، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين ، فجاء اليهم بنفسه ومنعهم ونهاهم ، فلما تكامل خروج الفرنج ، ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا مصافا عظيما ، فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة بهم والاعراض عنهم ، وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج ، وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب منهم بسيف ، ولاطعن برمح ، ولارمى بسهم».

٨٨ ـ كذا ولعله اخترع لغايات دعائية.

٨٩ ـ توجه كل منهم إلى منطقة اختص بها قبل معركة انطاكية ، فعاد بوهموند إلى آسية الصغرى ، ونهب غودفري إلى الرها ـ أورفا ـ حيث كان أخوه بلدوين .

٩٠ ـ أي تل منس .

٩١ ـ يوم ١١ ـ أيلول .

٩٢ ـ كان اسم الرجل الذي جرى اختياره « بطرس الناربوني » وهو أسقف لاتيني جرت سيامته في بلاد الشام .

٩٣ ـ ٢٨ ـ تشرين ثاني ١٠٩٨ م .

٩٤ ـ من الملاحظ أن الفرنجة تفوقوا أيام الحروب الصليبية بتقنية بناء الأبراج الخشبية الضخمة العالية التي كانوا يحصلون على الخشب اللازم لصنعها من السفن الايطالية وسواها، وغالبا ما كان ارتفاع البرج اعلى من الأسوار للبلدة المهاجمة ، وزود كل برج متحرك بوسائل الهجوم وكباش دك الأسوار وغيرها من الآلات ، وغطي بالصفائح المعدنية وجلل بالليد المبللة بالخل للحيلولة دون احتراقه ، وطور المسلمون في هذه الفترة تراكيب فعالة من النيران الحارقة ووسائل اخرى للحيلولة بين الأبراج المتحركة وبين الوصول إلى الأسوار .

٩٥ ـ طلب تأخير موعد استئناف الزحف نحو القدس .

٩٦ ـ أي قصر يفي سفان وبقاع أخرى ، وكان بوهموند يرغب بالانفراد في تملك انطاكية .

٩٧ ـ من ١٧ إلى ٢٢ كانون الثاني ١٠٩٩ م .

٩٨ ـ من ٢٩ كانون ثاني حتى ١٤ شباط ١٠٩٩ م .

٩٩ ـ يريد بها قلعة حصن الاكراد .

١٠٠ ـ جناح الدولة حسين ، انظر ترجمته .

١٠١ ـ فخر الملك ابن عمار.

١٠٢ ـ أي عرقة .

١٠٣ ـ في العاشر منه .
١٠٤ ـ في تاريخ وليم الصوري اسمه روبرت وكان قسيسا ذور مندبا من اسقفية روان .
١٠٥ ـ ١٢ حزيران ١٠٩٩ م .
١٠٦ ـ الاول من آب ١٠٩٩ م .
١٠٧ ـ ٩ ـ آب ١٠٩٩ م .
١٠٨ ـ لاشك أن هذا من ابداع خيال الكاتب ، ومع هذا يروي العليمي في الأنس الجليل ·
١ ، ٣٠٨ خبر هزيمة الأفضل ويقول : « وكان عند الافرنج شاعر منتجع إليهم ، فقال مخاطب ملك الافرنج واسمه صنجلي ·

نصرت بسيفك دين المسيح
فلله درك من صنجلي
وما سمع الناس فيما روي
بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر » .
١٠٩ ـ الثاني عشر من شهر آب ١٠٩٩ م .

أنا كومينا

١ ـ يرى ستيفن رنسمان أن معنى هذه العبارة « بطرس الصغير » وقد يكون هذا ، إنما قد اشتهر الرجل عن طريق المصادر الأخرى باسم « بطرس الناسك » .

٢ ـ كذا ، ولاشك أن مثل هذه الأفكار لاتستحق الرد ، والمثير للانتباه هنا صدورها عن الأميرة انا كومينا ، وليدة الغرفة الارجوانية في القصر الامبراطوري في القسطنطينية ، وصاحبة الثقافة العالية والمكانة الرفيعة ، ولاشك أنها شهادة تدل على مدى تعصب بيزنطة والعالم المسيحي ضد الاسلام انذاك ، أنها بحق وثيقة معبرة عن المشاعر الصليبية المتعصبة بشكل أعمى .

٣ ـ منطقة في الشمال الغربي من بلاد الاغريق ، بين بلاد بندوس وبحر ايونيان ، ومعنى اسم هذه المنطقة « البلاد المتوسطة » وهي بلاد جبلية ، قليلة الخصب ، مشهورة بكثرة قطعان الخيول فيها .

٤ ـ غودفري دي بوليون ، ودوق مناطق اللورين السفلى .

٥ ـ وصل الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية في الأول من شهر آب ١٠٩٦ ، وعبروا مضيق البوسفور في اليوم السادس منه ، وحدث هجومهم على نيقية ـ إزنيق حاليا في تركيا ـ التي كانت مقر السلطان قلج ارسلان ، في شهر أيلول .

٦ ـ هيوج أمير فيرما ندوس الابن الأصغر لهنري الأول ملك فرنسا ، وان أميرة كيف ، وعلى الرغم من إدعائه ودعواه العريضة غير العادية فإن أثره في السياسية الفرنسية يكاد أن يكون غير ملحوظا .

٧ ـ هو وليم أمير ميلون ، لقب بالنجار كما يبدو لقوته .

٨ ـ قدمت من البابا إلى الجنود الذين توجهوا للقتال ضد المسلمين .

٩ ـ يقع هذا المكان قرب بوسا ، فكاباليون وبوسا هما اسمان لمدينتين في تلك المنطقة ، وإنني لأمل أن يتوجه إلي واحد من الناس بالنقد لاستخدامي هذه الأسماء البربرية ، مشوهة نص تاريخي ، إنما حتى هومر نفسه لم يرفض الأسماء البوتونية ، وفي سبيل الدقة أتى على ذكر عدد من البربر . انا كومينا .

١٠ ـ هناك بعض الشكوك حول هذا الرجل الذي تدعوه انا أيضا باسم بنتازاس ، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه هو ريموند بروفانس ، حيث أن عبارة بنتازاس تقابل عبارة بروفانس ، وتستخدم انا أحيانا عبارة « صنجيل » مع شيء من التشويه ، فريموند عرف باسم « سانت جايل » وكتب العرب اسمه « صنجيل » وسيرد ذكره كثيرا ، خاصة فيما يتعلق بمدينة طرابلس .

١١ ـ من العبارة اللاتينية Excussatan وهو عبارة عن قارب حفظ كما يبدو من قبل القائد في المرتبة الثانية .

١٢ ـ ٦ ـ كانون أول ١٠٩٦ م .

١٣ ـ إن القوس العقار هو سلاح خاص بالبرابرة ، ويكاد يكون غير معروف بالنسبة للاغريق ، وحتى يشد هذا القوس ، لايقوم الانسان بشد الوتر بيده اليمنى بينما يدفع بالسهم بعيدا عن القوس بيده اليسرى ، فهذا السلاح الذي يرمي السهام إلى مسافة بعيدة جدا ، يحتاج الانسان في شده إلى أن يستلقي إلى الأرض على ظهره ، وتقوم كل قدم من قدميه بالضغط بشدة على نصف القوس ، بينما تقوم اليدان بالشد بكل قوتهما باتجاه الجسم ، ويوجد في منتصف الوتر فتحة تشبه الاسطوانة مقطوعة إلى نصفين ، ومرتبة من أجل الوتر نفسه ، ويؤتى بعد هذا بسهم مناسب ، طوله يساوي المسافة ما بين الوتر ومنتصفه الوتر ويرمى من هذه الفتحة بجميع أنواع الرمايات ، صحيح أنها أسهم قصيرة ، لكنها مثقلة برؤوسها الكبيرة ، ويعطى الوتر أثناء الرماية قوة هائلة إلى حد أن الرمية يمكن أن تخرق الترسة والدروع الحديدية الثقيلة ، وتستمر منطلقة لمسافة بعيدة ، لذا لايمكن مقاومة هذه الرمايات ، ومن المعروف أن سهما من هذا النوع يمكن أن

يخرق جسم تمثال من البرونز ، وعندما تتم الرماية ضد سور بلدة كبيرة ، فإما أن يظهر طرف السهم من الجانب الآخر للجدار ، أو يدفن داخل السور ، ويختفي كليا ، إن هذا هو القوس العقار ، فهو كما رأينا آلة رهيبة ، والتعس هو من يرمى بها ، ذلك أنه يموت دون أن يشعر بالرمية ، ودون دراية بقوة الضغط الدافع لها . أنا كومينا .

١٤ ـ تختلف عادات اللاتين فيما يتعلق بالرهبان عن عاداتنا ، فنحن ملتزمون بأحكام القانون ، وبتعاليم الانجيل التي تقول : « لاتلمس ، لاتزمجر ، لاتحارب » لأنك معمد ، لكن البرابرة اللاتين ، ترى أحدهم يحمل قطعة من الآثار المقدسة ويشد ترسا الى يساره ، ويمسك رمحا بيمناه ويتقرب الى جسد الالهة المقدسة ، ويحدق بالدم ويسفكه حتى يصبح هو نفسه ، رجلا دمويا » كما يقول داوود في المزامير ، وعلى هذا فان هذا الجنس تراه متدينا بقدر اهتمامه بالحرب ، وعلى هذا فاللاتيني هو رجل عمل أكثر منه رجل رهبنة ، ويرتدي ثوب الكهنوت ، ويحمل المجذاف ، جاهزا للملاحة أو للحرب في البر والبحر سواء ، إن أحكامنا كما سلف بي القول صادرة عن هارون وموسى ورهباننا الكبار ـ أنا كومينا .

يلاحظ أن أنا كومينا نقلت نص الانجيل بتصرف حيث النص « لاتمس ولاتذق ولاتجس » رسالة بولس إلى أهل كولوسي : ٢ / ٢١ .

١٥ ـ موقع تعذر تحديده .

١٦ ـ قصر بلا شيرين .

١٧ ـ بني منذ زمن بعيد من قبل أحد الأباطرة ـ أنا كومينا .

١٨ ـ اشارة إلى ثورة آل كومنين .

١٩ ـ الثاني من نيسان ١٠٩٧ كان يوم خميس أيضا .

٢٠ ـ الالياذة (ترجمة انكليزية) : ٤ / ١٢٣ .

٢١ ـ المقصود بالشاعر هنا هو هومر ، لكن يلاحظ أن أنا كومينا تنقل عنه بتصرف .

٢٢ ـ ما من شيء يقيني معروف حول راؤول هذا .

٢٣ ـ كرس القديس ميخائيل ، راعي الدير الذي عرف باسم القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية وقد دفن هناك .

٢٤ ـ الالياذة : ٢ / ٤٦٨ ـ الاوديسا . ٩ / ٥١ .

٢٥ ـ لربما كان هذا المعبد في سواسون .

٢٦ ـ هو ريموند كونت تولوز ومركيز بروفانس ، كان يأمل بقيادة الفرنجة جميعا في معاركهم ، وبذلك كان منافسا لبوهوند ، وهذا ما نراه واضحا في كتاب أعمال الفرنجة ، التالي لهذا الكتاب .

٢٧ ـ في نيسان ١٠٩٧ م .

٢٨ ـ في أيار ١٠٩٧ م .

٢٩ ـ هي الآن قرية متواضعة في تركيا على مقربة من استانبول اسمها « إزنيق » ، وكانت أثناء الحملة الأولى للصليبيين حاضرة دولة سلاجقة الروم

٣٠ ـ كان السلطان قلج أرسلان بعيدا آنذاك في الشرق يحارب ضد الدانشمند صاحب ملاطية ، ولربما أساء تقدير حجم الخطر الفرنجي ، وأعطى القصص حول الخلافات بين الفرنجة والامبراطور الكسيوس حجما أكبر مما تستحق ، وكان في داخل نيقية في ذلك الوقت زوجته وأولاده ونخائر ، مما يؤكد ثقة السلطان ويقينه أن المدينة لايمكن قهرها .

٣١ ـ أخذ هذا البناء اسمه منذ زمن مضى ، عندما جرت ترقية ماذويل المشهور ، والد الامبراطور السابق اسحق كومنين مع أخيه جون (وهو جدي من جهة أبي) ، إلى مرتبه إمرة الشرق كله ، وذلك من قبل الامبراطور باسيل ، وكان قصده وضع حد للحرب مع سكليروس إما عن طريق القوة ، أو باجباره على طلب المصالحة من خلال العمل الدبلوماسي ، وحيث أن سكليروس كان رجل حرب ، يحب سفك الدماء ، فإنه رحب بالحرب أكثر من السلم ، ولهذا كان هناك كل يوم اشتباك عنيف ، ولم يكتف سكليروس برفض المهادنة بل قاتل بقسوة اشد وشجاعة اعظم

للاستيلاء على نيقية ، و تمكن بواسطة المجانيق من تحطيم شرفات السور وهدم الجزء الاكبر من هذا البرج ، مما سبب ميلان بقية اجزائه ،حتى بدا و كانه راكع على ركبتيه ولهذا عرف منذ ذلك الوقت باسم غونتار ـ انا كومينا ـ .

لقد تحدث المؤرخ البيزنطي ميخائيل بزللوس في الجزء الاول من تاريخه عن حملة باسيل ضد سكليرس . انظر ص : ٣٠ ـ ٣٢ من الترجمة الانكليزية ط . لندن ١٩٦٦ .

٣٢ ـ القنال الضيق بين جزيرة يوربيا والبر الاغريقي ، مشهورة بتياراتها .

٣٣ ـ بحيرة أسكانيا إلى الغرب من المدينة .

٣٤ ـ يبدو أن زاخاس هذا كان من المرتزقة التركمان العاملين لدى الامبراطور وسيرد اسمه بعد قليل ص ١٥٧ ، وقد أخذ يعمل لحسابه الخاص ضد الامبراطور .

٣٥ ـ قيل بانها كانت ابنة زاخاس ، انظر ص ١٥٨ المقبلة .

٣٦ ـ فراغ بالأصل .

٣٧ ـ في منطقة اسكي شهر الحالية في تركية ، ووقعت المعركة يوم الاول من تموز سنة ١٠٩٧ م ، فقد بدأ بوهموند زحفه يوم ٢٦ حزيران ، وتبعه البقية يوم ٢٨ ثم ٢٩ وهكذا .

٣٨ ـ لربما المقصود هنا ملك غازي كمشتكين بن الملك دانشمند الذي توفي سنة ١١٨٤

٣٩ ـ الاليانة : ٥ ؛ ٢٩٩ .

٤٠ ـ وصل الفرنجة إلى انطاكية يوم ٢١ تشرين أول ١٠٩٧ م ، وسقطت المدينة لهم في الثالث من حزيران سنة ١٠٩٨ م .

٤١ ـ قيل اسمه فيروز ـ او نيروز ، ارمني الأصل ، تظاهر بالدخول في الاسلام وبالطاعة والاخلاص ليفي سفان والي انطاكية ، واضمر له العداوة والحقد .

٤٢ ـ برج الأختين ، وقد درس رنسمان بشكل وافٍ أخبار سقوطه معتمدا على مختلف الروايات ، وذلك في المجلدة الاولى من كتابه تاريخ الحروب الصليبية ، والكتاب مترجم من الانكليزية إلى العربية .

٤٣ ـ هي مدينة ازمير الحالية بتركيا .

٤٤ ـ لم استطع ضبط الصيغة التركمانية الصحيحة لهذين الاسمين ، فالاسم الثاني اسم مركب من عبارتين هما : تنجري ، وبيرمس ، وأعرف أن تنجري كلمة تركية مغولية تعني رب السماء ، لكنني غير متأكد من الشطر الثاني « بيرم » ؟

٤٥ ـ تدعى أحيانا باسم عرب سوس ، ولها ذكر في المصادر المبكرة التي تتحدث عن أخبار الفتوحات الاسلامية ، وهي مدينة أهل الكهف في بعض المصادر الجغرافية العربية .

خ٤٦ ـ اسمها الآن بولفادين في تركيا .

٤٧ ـ اسمها الآن علي شهر في تركيا .

٤٨ ـ اسمها الآن آق شهر .

٤٩ ـ التحق كل من وليم أوف غرانتمسنيل مع ستيفن أوف بليوس وبيتر أليفاس بالامبراطور في حوالي منتصف حزيران ١٠٩٨ م .

٥٠ ـ سقط بالأصل ، والجدير بالذكر هنا انه يحول بيننا وبين معرفة مصير الاسرى ، وما فعله الامبراطور بهم .

٥١ ـ في كنيسة القديس ـ القسيان ـ بطرس في انطاكية .

٥٢ ـ تتحدث أنا هنا عن مسامير ، لكن اللاتين يتحدثون عن حربة أو رمح مقدس .

٥٣ ـ من الملاحظ أن أنا تمزج هنا بين بطرس الناسك ، وبطرس بارثلميو ، وأدهمر أسقف بوي ، وتحسن العودة إلى رواية صاحب يوميات أعمال الفرنجة .

٥٤ ـ روبرت كونت فلاندر .

٥٥ ـ سقطت في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ م .

٥٦ ـ سبق لأنا أن أشارت في الفصل السابق ـ الكتاب العاشر ـ إلى أن عدد الكونتات الذين

وقعوا في الأسر وحملوا إلى مصر هو / ٣٠٠ / .

٥٧ ـ بني الحصن على تلة الحجاج خارج طرابلس ، ودعاه العرب باسم حصن ـ أو قلعة ـ صنجيل .

٥٨ ـ مات في ١٨ تموز لسنة ١١٠٠ ، ربما بسبب إصابته بسهم ، أو إصابته بالتيفوئيد ، وقد دفن في كنيسة القيامة .

٥٩ ـ «الذي كان آنذاك في منطقة الرها » ـ أنا كومينا .

٦٠ ـ يوم ٢٥ كانون أول لسنة ١١٠٠ م .

٦١ ـ يبدو أن معظمه كان من اللومبارديين .

٦٢ ـ كان هدفهم انقاذ بوهموند الذي وقع في الأسر لدى التركمان في شهر آب .

٦٣ ـ يوم ٢٣ حزيران سنة ١١٠١ م .

٦٤ ـ تعرف هذه المعركة باسم معركة المرزبان ، وقد وقعت في خريف سنة ١١٠١ ، وفيها قتل حوالي أربعة أخماس الجيش الصليبي .

٦٥ ـ هي بافرا الآن على فم نهر هاليس .

٦٦ ـ وليم جوردان كونت سردينية .

٦٧ ـ كان قسطنطين حاكم قبرص آنذاك ـ أنا كومينا .

٦٨ ـ تتابع أنا فيما يلي سرد أخبار حوادث وقعت في ١٠٩٨ ـ ١٠٩٩ ، وهي لسوء الحظ عادة سيئة من عاداتها .

٦٩ ـ هو ديمبرت رئيس أساقفة بيزا ، جرى تعيينه بطريركا على القدس من قبل البابا أوربان الثاني سنة ١٠٩٨ م ، إثر موت ادهمر أوف لي بوي ، وجعلت أنا التي كانت تكره رجال الدين اللاتين ديمبرت يبدو وكأنه المسؤول عن تنظيم الاسطول البيزي .

٧٠ ـ ولد لاندولف في ايطاليا ، ولاشك أنه كان يفهم طرائق عمليات البحرية اللاتينية .

٧١ ـ تستعير أنا أوصافها من هومر .

٧٢ ـ هوميروس ـ الأوديسا : ٣ / ١٧١ .

٧٣ ـ إلى الغرب من صقلية .

٧٤ ـ اسمها الحالي كورغوس .

٧٥ ـ تعالج الأميرة أنا الآن حوادث سنة ١١٠٤ ، علما بأن السفن الجنوية كانت تجوب بحار المنطقة منذ سنة ١٠٩٧ م .

٧٦ ـ لاسية الصغرى .

٧٧ ـ ميناء من موانىء العصور الوسطى كان يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طرسوس ويبعد عنها مسافة / ١٥ / ميلا ، وقد حل محله ميناء مرسين الحالي في تركية .

٧٨ ـ لم تأت المصادر اللاتينية على رواية هذه القصة ، ولهذا يرى البعض أنها محض اختراع ، ولربما كانت من ابداع خيال أنا كومينا ، علما بأن بوهموند كان قادرا على مثل هذه الأعمال .